Space Semiotic in "Diary of a Blind" Novel by Hamid RAKATTA

PhD. Abd karim LAOUINA, Dr. Charki NASRAOUI

Faculty of Letters & Humanities,
Sultan Moulay Slimane University, Beni Mellal - Morocco

Science Step Journal / SSJ

December 2023/Volume 1- Issue 3

DOI: https://doi.org/10.6084/m9.figshare.24922224

To cite this article: LAOUINA, A.K., NASRAOUI.C. (2023, December). Space Semiotic in "Diary of a Blind" Novel by Hamid RAKATTA. Science Step Journal, I(3), 160-172. ISSN: 3009-500X.

Abstract

The role of space in modern novels has been significant in creating a deep discourse that follows the trace of fact. Novels have always been the face of society's literary presentation, with the novelist expressing their views on a particular subject they find concerning, hoping to bring about change.

This Novel is about the relationship between reality and literary works, and whether novels, as a literary genre, are capable of revealing reality through their treatment. While space is known to contribute to literary works, it becomes an urgent matter in some works, such as "Diary of a Blind" by Hamid Rakatta. This novel is set in the capital of Moyen Atlas, Khounifra, and focuses on a blind character who sends a message to the governor to take care of this socio-cultural ancient city.

This Article aims to explore the use of space in the novel, focusing on semiotic ideology. We will examine the dichotomy terms of "vacating and temporality," which Grimas referred to as "here and there." We will study the narrative programs that extract the vacating types by looking at the change from one situation to another through the steps of the narrative way. Achieving the narrative program's self-factor through an approach of different spaces is essential.

The historical rooting is relevant to the investigation during the depicting discourse to set of space signs and the temporality that aims to produce the meaning of the trace of "reality." Writers and readers share the reality expressed in literary function, regardless of the nature of this expression. The importance of the recent study of the novel is to be in time and geographically near to the reader. Through the study of space, we can find a trace of reality in the novel, and this is what we will explore through the semiotic study of space in the novel, "Diary of a Blind."

Keywords:

Trace of fact - Spacial space - Vacating and temporality - The here and The there, Historical rooting.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

سيميائية الفضاء في رواية "مذكرات أعمى" لحميد ركاطة

باحث. عبد الكريم لعوينة، د. الشرقي نصراوي

كلية الآداب والعلوم الانسانية،
جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال– المغرب

ملخص:

يحظى الفضاء بأهمية قصوى في الرواية الحديثة، كونه يساهم في تجدير الخطاب الروائي وبالتالي اقتفاء "أثر الحقيقة"، مادامت الرواية هي الوجه الحقيقي للمجتمع متمثلٌ أدبيا، فالروائي ينطلق دائما من الواقع ليعبر عن وجهة نظر معينة تجاه موضوع يؤرقه، أملا في الدفع نحو التغيير الإيجابي. وتأتي هذه الدراسة في سياق رصد العلاقة بين الواقع والأعمال الأدبية، فهل الرواية، باعتبارها جنسا أدبيا، قادرة على تعرية هذا الواقع، في سبيل معالجته؟

ومعلوم أن الفضاء ليس طارئا في العمل الأدبي؛ بل إنه سببٌ في وجود بعض الإنتاجات الأدبية، ورواية "مذكرات أعمى" لكاتبها "حميد ركاطة" من هذه الأعمال، فهي تحتفي بفضاء عاصمة الأطلس المتوسط (خنيفرة) أيما احتفاء، فهو احتفاءٌ اقترن بشخصية فريدة وهي الأعمى، فإذا كان الأعمى يُمثِّل عدم الرؤية في الظاهر، فإنه يُراد من خلال هذه الشخصية إرسالُ رسالة إلى من يهمه الأمر بعدم إبداء "العمى" عن هذه المدينة العريقة ذات الأبعاد السوسيو-ثقافية. ومن هذا المنطلق سعينا إلى اعتماد المنهج السيميائي لمعالجة فضاءات هذه الرواية، من خلال مفاهيم دقيقة تُعنى بدراسة الفضاء، تمثلت في ثنائية "التفضية والتزمين" التي أشار إليها غريماس بثنائية "الهنا والهناك". وتتم دراسة هذه الثنائية من خلال الوقوف على البرامج السردية لاستخلاص أنواع التفضية، من خلال تتبع أطوار الخطاطة السردية لفعل التحول من وضعية لأخرى، في البرنامج السردي للعامل الذات، ويتم هذا من خلال مقاربة فضاءات مختلفة.

ومفهوم "التجدير التاريخي" الذي يُعنى بالتحقيق أثناء عملية تصوير الخطاب لمجموعة من الإشاريات المكانية والزمانية التي تهدف إلى إنتاج أثر معنى "الواقع". ذلك الواقع الذي نشترك فيه جميعا، كتابُ الروايات وقراؤها. لأن وظيفة الأدب في النهاية هي التعبير عن الواقع، بغض النظر عن طبيعة هذا التعبير، وهنا تكمن أهمية دراسة روايةٍ حديثة وقريبة زمنيا وجغرافيا من القارئ. فهل نستطيع، من خلال دراسة الفضاء، أن نعثر على أثر الواقع في الرواية؟ ذلك ما سنعرفه من خلال هذه الدراسة السيميائية للفضاء في رواية "مذكرات أعمى".

كلمات مفتاحية:

المتَرجِم، النّص الأدبيّ، التّرجمة الأدبية، القراءة، التأويل، التأليف، تعدّد المهامّ.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

مقدمة

ظهر علم السيميولوجيا نتيجة لدراسة الوجود الإنساني ذي الطابع المركّب بهدف الكشف عن سلوكه الرمزي وقواعده، فاتخذ من اقتفاء أثر العلامات هدفا له لبلوغ الدلالات التي تنشأ من سلوك الإنسان ولغته وجسده وحركاته" .والحال أن السيميائيات هي- في الأصل والاشتغال -تساؤلات حول المعنى، فهي تُعنى بدراسة السلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني، ففي غياب قصدية) صريحة أو ضمنية (لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا، أي مدركا باعتباره يحيل على معنى."

وقد اتسع علم السيميائيات ليشمل جميع الظواهر والمجالات، لأن الكون كله عبارة عن علامات، فأينما ولّينا وجوهنا نصادف إشارات وعلامات ورموز تلتقطها حواسنا المختلفة .قد يكون المنهج السيميائي قادرا على تناول الظاهرة الإبداعية من مختلف جوانبها، لأنه تصوّرٌ منفتح على جميع النصوص وعلى جميع التصورات الأخرى، وغير مكتفٍ بذاته، ولأنه يستمد دلالاته من الإيماءات التأويلية للمتلقي، الذي يتفاعل مع الإشارات الدلالية المرصودة في النصوص، فالنص عبارة عن علامات منثورة، ولكنها تتبلور من خلال تفاعل الإنسان مع كل مكونات العالم المحيط به، والمنهج السيميائي يُعنى بدراسة وتتبع هذه العلامات وتحرير النص من كل القيود التي لحقته في المناهج السابقة، فأصبح القارئ، من خلال المقاربة السيميائية، أكثر انفتاحا على تأويلات النص؛ بل إنه أصبح مشاركا في إعادة كتابة النص وفق العلاقة القائمة بين" الدال والمدلول والحضور والغياب"، لذلك فالقارئ ينطلق من الإشارات الواردة في النصوص لاستحضار المعاني المغيّبة.

فالإنسان يمارس نشاطه اليومي ويعيش حياته من خلال توظيف الرموز، فيشكّل بذلك عوالم خاصة به، متحررا من قيود الواقع ومتطلعا إلى المطلق وإلى الإبداع، فيوظّف الإنسان الرموز والدلالات في التعبير عن مختلف مواقفه، سواء في الفرح أو القرح، مستعينا في ذلك بما تلتقطه حواسه من الطبيعة، ومتفننا في توظيفها وفقا لما تقتضيه حتمية المواقف، فأضحت الرموز تحيل على الغائب بوساطة تدل عليه؛ بل أصبح بإمكانه أيضا استحضار الخيال وعوالمه من خلال أشيائه التي تُحيل على ثقافته وكينونته.

إن المنهج السيميائي كفيل بالكشف عن إشارات هذا الواقع عبر التقاطها من متن هذه الرواية، من خلال هذه المفاهيم الدقيقة، للعثور، في النهاية، على" أثر الحقيقة"، من خلال التربص بعناصر الفضاء الكامنة في الخطاب الروائي، لعلنا نجد إجاباتٍ ممكنة عن الأسئلة التي يطرحها علينا المواطن العربي، خصوصا عندما ندرك أن القضية الفلسطينية، مثلا، لم تكن في أية لحظة من اللحظات غير قضيةَ فضاءٍ أساسا ."فإلى أي حد ستُمكننا دراسة الفضاء في الرواية من إدراك الواقع بكل تفاصيله، كما أراد الكاتب أن يوصلها إلينا" كقراء ضمنيين "؟

لذلك سعينا إلى اعتماد المنهج السيميائي لمعالجة الفضاءات الواردة في رواية" مذكرات أعمى "لكاتبها" حميد ركاطة "من خلال مفاهيم سيميائية تُعنى بدراسة الفضاء، تمثلت في ثنائية" **التفضية والتزمين** "وهما مفهومان يندرجان ضمن التركيب الخطابي، تستثمرهما عملية القول .ويتمثلان من خلال الإشاريات الزمانية والمكانية، والتي تحدد لنا" هنا والآن "من خلال علاقتها ب"أنا " لتحديد التحقيق المكاني والزماني المعايش والمعاصر، وقد أشار **غريماس** للتفضية والتزمين بثنائية" الهنا والهناك ."وتتم دراسة هذه الثنائية من خلال الوقوف على البرامج السردية لاستخلاص أنواع التفضية، من خلال تتبع أطوار الخطاطة السردية لفعل التحول من وضعية لأخرى، في البرنامج السردي للعامل الذات، ويتم هذا من خلال مقاربة فضاءات مختلفة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

أما المفهوم الثاني فهو" **التجدير التاريخي** "والذي يُعنى بالتحقيق أثناء عملية تصوير الخطاب لمجموعة من الإشاريات المكانية والزمانية التي تهدف إلى إنتاج أثر معنى" الواقع ."ذلك الواقع الذي نشترك فيه جميعا، كتاب الروايات وقراءها، بكل تجلياته وإخفاقاته .

أهمية الفضاء:

يُعد الفضاء ركنا أساسيا في الكتابة السردية، لأنه" لا يخلو مسرود أو محكي من تبئير المكان وهيمنته، وتبوئه قصب السبق في عملية تشييد المتخيل، بحكم أن الرواة والسُرّاد يعلمون علما قاطعا، ومع سبق الإصرار والترصد، أنه لا سرد ممكن من دون تأثيث جيد للمكان وهندسته، وإيلائه المكانة اللائقة به في تأسيس العوالم السردية، مناخاتها، وجغرافيتها."

حظي الفضاء باهتمام كبير في الفلسفة؛ حيث خصصت له" اهتماما خاصا في معظم الكتابات باختلافها، وقد شغل هذا المفهوم بال الفلاسفة منذ أفلاطون إلى وقتنا الحاضر، فقد ظلت ومازالت الدراسات الفلسفية حوله كثيرة وغير منطقية ".فقد عالج "**غاستون باشلار** "مفهوم الفضاء في كتابه" **شعرية المكان** "عندما قام بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالفضاءات التي تلازم السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المغلقة والهامشية أو في الأماكن المنفتحة و الظاهرة، والتي تشكل تعارضات تعمل من خلال خيال السارد على تشكيل مسار الحكي، **فباشلار** ربط الأمكنة برمزية معينة تعطي انطباعا عن حالة الإنسان الذي يوجد في هذه الأماكن وذلك من خلال تعارضات بين هذه القيم الرمزية .لقد أحاط **باشلار** بمفهوم الفضاء من منظور فلسفي، مركزا على وقع هذا الفضاء في وجدان وذاكرة الإنسان، إنه التعريف الذي يضفي على الفضاء طابعا إنسانيا، ويطرح مسألة الداخل والخارج، والتي تؤدي بدورها إلى جدل المفتوح والمغلق .وبذلك تكون معالجة **باشلار** لمفهوم الفضاء قد اكتست بعدا إنسانيا مرتبطا بالحالة النفسية التي يُسقطها المكان على الإنسان الذي يرتبط به .

إن" الفضاء داخل الرواية، بعيدا عن أن يكون محايدا، نراه يعبّر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني متعددة إلى الحد الذي نراه أحيانا يمثل سبب وجود النتاج نفسه"، أي إن الفضاء في الرواية قد يكون الدافع الأساس للكتابة، وهذا ما يتضح في كثير من الكتابات التي تتخذ من الفضاء تيمة لها .والواقع يشهد بأهمية الفضاء داخل العمل الروائي ،على الخصوص، وتميُّزه عن فضاءات جمالية أخرى في الأشكال الفنية المتعددة، كالمسرح والسينما والتشكيل، بكونه فضاءً يتمظهر من خلال اللغة لا من خلال الحواس، كما يتخذ مظاهر متعددة .

واتخذ مصطلح الفضاء عند السيميائيين بعدا مغايرا، تمثل في مصطلح" **الفضاء المكاني** "والذي عُدّ من المصطلحات النقدية في الدراسات الحديثة؛ حيث عُدّ مكوّنا لسانيا يختلف عن الفضاءات التي تدركها الحواس، فهو لا يتجسّد إلا من خلال الكلمات واللغة في النصوص الأدبية، ويستمد جماليته من براعة الكاتب في إلباسه قيما فكرية ورؤيوية، وبهذا يكون أشمل من مفهوم المكان، لأن أهمية الفضاء ووظيفته في النص الأدبي تتجاوز ذلك الموضع الجغرافي، الذي تدور فيه الأحداث، إلى مفهوم حامل لدلالات فكرية وإيديولوجية ونفسية واجتماعية، بحسب رؤية السارد في العمل الأدبي، فالفضاء من وجهة نظر **غريماس** بنية دالة؛ حيث يحيل إلى بنى أخرى خارج النص، من خلال العلاقة بين الدال بتجليه الخارجي، والمدلول بجوهره العميق، **فغريماس** يعتبر الفضاء بنية يمكن معاينتها داخل النص، في اللغة الواصفة ومن خلال سياق النص .وبذلك يعد الفضاء إجراءً فنّيا يحيل إلى تفاعل الشخصيات

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

والأحداث تأثيرا وتأثُّراً؛ حيث إن السيميائيات في دراستها للفضاء تركّز على التقاطبات من خلال الثنائيات التقابلية، التي وضعها **غريماس** في مقاربته في تقسيم الفضاء بين" الهُنا والهُناك."

علاقة الزمان بالفضاء:

ويعد عنصر الزمان معطى لا بد من التسليم بأهميته عند مقاربة الفضاء الروائي وقراءة أبعاده الدلالية،" وبالتالي فمن إكراهات نظام الفضاء بالذات أن معنى الفضاء يصعب اجتزاؤه من معنى الزمن، ذلك لأنهما معا يشكلان **حوضا دلاليا** " *".وهكذا يبرز الترابط السُّري بين عنصري الفضاء والزمان، لأنهما ركنان أساسيان في الكتابة السردية بكل أنواعها .ومعلوم أن الفضاء الروائي يختلف عن الفضاء في باقي الأشكال الأدبية، من حيث كونه لا يتجلى إلا من خلال اللغة، فالرواية وما تحويه من مكونات، باعتبارها جنسا أدبيا، تُعد بنية لغوية مشكّلة من عدة بنيات صغرى، ومن ضمنها الفضاء الذي يتواجد إلى جانب باقي العناصر الأخرى داخل الرواية، ولتحديد الفضاء في رواية ما وجب رصد العلاقات الجامعة بين جميع الفضاءات الواردة فيها، للخروج بطبيعةِ وماهيةِ القانون الذي يحكمها في كُليتها، ذلك إن" اللغة هي هندسة قولية ومجرة نُعبِّر من خلالها عن الأهداف والقضايا، بل إنها هوية وشبكة علاقات اجتماعية ولم لا..؟ "فالإنسان مرتبط بوجود المكان على هذه الأرض، فمنه بدأ وإليه ينتهي؛" لأن المكان على مستوى حياة الإنسان ليس عنصرا طارئا وهامشيا؛ بل هو من صميم مكونات وجوده بوصفه جزءا مهما في عملية تفاعله وتواصله مع الحياة والناس من حوله"، لذلك تشكل اللغة صلة الوصل بين الوجود الإنساني و الإطار المكاني .

والواقع أن اختيار موضوع بعينه للدراسة والبحث لا يكون اعتباطيا؛ بل هو مقصود من طرف الباحث لما يكتسيه من أهمية ويحمله من معنى، وبالنظر إلى ما يمثله مفهوم الفضاء ،كبعد جوهري من أبعاد الكائن البشري، وكسؤال يخترق الوجود الإنساني بأبعاده الجغرافية والثقافية والسياسية،" فالمكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزمن وبالمحلية، حتى لنحسبُه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمّله بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطامح شخوصهم فكان وكان :واقعا ورمزا، شرائح وقطاعات، مدنا وقرى، كيانا نتلمَّسه ونراه أو كيانا مبنيا في المخيلة ."

إن هذه الأولوية التي يكتسيها الفضاء في العمل الأدبي هي ما يجعل الكاتب يستحضر دائما ما يلائم رؤيته وإستراتيجيته في اشتغاله بما يخدم التصور العام للعمل الإبداعي الذي يقدمه.

رواية" مذكرات أعمى:"

تمثل" مذكرات أعمى "عملا روائيا يجسد هذه الأهمية التي يلعبها الفضاء في العمل الأدبي، وترصد الرواية سفرا افتراضيا مشوبا بالمغامرة لشخص أعمى، ومفعما بشتى أنواع السخرية والنقد اللاذع من كل أشكال الحياة اليومية، في فضاء يمثل الانتماء والوجود بالنسبة للسارد، رغما عن كل المعيقات والعاهات التي علقت بهذا الفضاء وبشخصياته على مرّ محطاته التاريخية .

وهذا ما يفسر حضور الذات بقوة في الرواية متأرجحة بين الواقع و الهذيان، لتحريك" الطابوهات"، فالأعمى في رواية" مذكرات أعمى "لا يعمى عن الحقيقة، رغم أن السارد يصورها بطريقة ساخرة أحيانا وبمنطق النبل والفن أحيانا أخرى .

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

يمتزج عبق التاريخ في فضاء المدينة الحمراء) خنيفرة (بسحر الطبيعة، ليشكلا مركز اهتمام شخصية الأعمى، وهو يمتطي عصاه متنقلا بين محطات الهامش، مصوّرا مختلف مظاهر البؤس والتخلف،" المقدس والمدنس ."ومع غياب حاسة البصر لدى البطل)الأعمى (تحضر الحواس الأخرى بقوة في مغامراته في عالم المحظور)الدعارة، وحب زوجة الأب" (زوجة أبي الصغيرة التي صِرتُ يوسفها..لم تتورع عن مراودتي باستمرار " الرواية (ص.186).

يوظف السارد عنصر الرمز بقوة في المتن، فالعصا ترمز للسلطة، والطربوش شعار المخزن والدولة، أما الصندوق فهو إحالة على المالية .و بذلك نجحت الرواية، إلى حد ما، في التطرق لقضايا أساسية تهم السياسة والهوية والتاريخ والحداثة والتقليد والحضارة والهامش واللذة والدين .

الفضاء في مذكرات أعمى:

لقد شهد مفهوم الفضاء في الرواية تحولات مهمة، وفق مسار متسم بالتنوع، انطلاقا من القرن التاسع عشر؛ حيث اتسم بكونه إطارا يحتوي أحداث الرواية، ثم ارتبط بعد ذلك بالإيديولوجيا والتباين الاجتماعي عند المدرسة الطبيعية، وأضحى فيما بعد يعكس الجانب النفسي للشخصية ومكنوناتها، ويمارس سلطته على الأشياء في الرواية الحديثة .ومع هذا التعدد في تجليات الفضاء في الرواية، تعددت معه تصورات الباحثين والنقاد في تحديدهم لأنواع الفضاءات وفي تحديد مسمياتها ومنطلقاتهم في التمييز بينها . لذلك في مقاربتنا لرواية" **مذكرات أعمى**، سنحاول استثمار التصور السيميائي بما يخدم رغبتنا في استقراء فضاء النص الروائي، وترصّد معناه،" مع العلم أن المعنى ليس سوى إمكانية لا تنفي وجود إمكانيات أخرى ."لذلك سنركز على مفهوم" **الفضاء المكاني** "كما حددته السيميولوجيا .ذلك لأننا" حينما نبحث عن تجليات الفضاء في النصوص الأدبية، روائية كانت أو غيرها، فإننا نعثر عليها حاضرة بشكل من الأشكال، إما مضمّنة، أو موصوفة أو معروضة، أو محلوما بها، أو متأملا فيها، كما يقول بذلك **هنري لوفيفر**، بل إنها تبدو أحيانا كما لو كانت مولّدا للكتابة ذاتها ."لهذا يشكل حضور الفضاء أمرا حتميا في النصوص السردية بمختلف أنواعها .

وإذا ما عدنا إلى فضاءات الرواية قيد الدراسة، فيمكننا أن نميز بين الفضاءات المغلقة والمفتوحة، وتعتبر" المغلقة هي تلك التي تحدُّها حدود من جوانبها الثلاثة، على أقل تقدير، بشرط أن تكون لها حدود سقفية"، أما المفتوحة فهي التي تكون مفتوحة من جانب واحد فأكثر، شرط أن تكون مفتوحة من أعلى"، ويشكل البيت والشقة أو الدار، باختلاف تسمياتها، واحدا من الفضاءات المغلقة، و"من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل، فالبيت وديناميات مختلفة كثيرا ما تتداخل أو تتعارض، وفي أحيان تنشط بعضها بعضا في حياة الإنسان، ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية، ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا ."وقد أولت الرواية أهمية كبرى للبيت حيث شكل مسرحا لجزء كبير من أحداث الرواية، فقد تكرر البيت و الشقة أو الغرفة في **مذكرات أعمى** ثماني عشرة مرة.

ويُعد البيت فضاءً يشير إلى العلاقة الحميمية بينه وبين) أنا (الراوي؛ حيث يظل هذا البيت مجالا للأسرار العميقة، والملاذ عند "العامل الذات "وهو رمز الطمأنينة والاستقرار، يلجأ إليه السارد أو لأحد مكوناته، ومن المقاطع التي تبرز هذه العلاقة ما جاء في الرواية" :انفضّوا من حوله، وتركوني غارقة في صراخي وحيرتي، حملته وحكاياته نحو البيت، وحففناه بدفء عارم "،" كنت كلما دخلت البيت، إلا وفاح عطرها الممزوج برائحة الحناء والقرنفل اللذان يذكراني بنخيل الريصاني، وتربة تافيلالت، بجذوري ".

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

تشكل مدينة خنيفرة في رواية **مذكرات أعمى** فضاءً للشعور بالانتماء والاعتزاز لدى السارد، كما في المقطع" : تبسم الأعمى، وقد علا الشوق محياه .تنهد طويلا" إيه، الحفرة تستحق كل هذا العناء .لقد ابتلعتني العاصمة، ونسيت أن ألبي نداء القلب كلما دعاني...ألقمَ السائق المسجلة شريطا للفنان" محمد رويشة"، فصدح" لوتار "بين الجبال في ليل بهيم :خنيفرة ما نخطاك حتى نموت حداك.."،" قد أكون مبالغا بعض الشيء إذا قلت إنني أحمل البلدة الحمراء بين جوانحي .قلبي يهفو إليها كلما شدني الحنين إلى شيء واحد، مقهاي المفضلة بالمدينة القديمة"،" خنيفرة الوطن الذي استراح فيه العشاق وهم يرسمون على القلب واحة بلوط أخضر . قدم فيها الظل تمرا للغرباء مع موال شارد، فارتسمت على بياض الأسئلة نهاية كلام اجترحنا أفراحه لما أضنتنا المسافات إليك ذات ربيع، ونحن نبحث عن نبع السؤال، في الطريق إليك".

كما يحضر فضاء" **المقهى** "بقوة في" **مذكرات أعمى**" (12 مرة)، ويشكّل المقهى" فضاءً يؤطر للحظات العطلة والممارسة المشبوهة ."ولا تخلو رواية" **مذكرات أعمى** "من مقاطع تُبرز العلاقة المشبوهة التي تربط هذا الفضاء) المقهى (بشخصيات الرواية، ومن أمثلة ذلك": رواد المقاهي الشعبية متكاسلون على كراسيهم كسرطانات بحرية تركها المد منذ زمن، وقد أسالت لعابهم مؤخرات عابرة من كل الأعمار، يتدفقن في عرض تلقائي للأزياء"، وأيضا ": وقد فاحت رائحة كريهة في المقهى، يعقبها لغو وضحك عارم، فيُحذرهم صاحب المقهى من مغبة التمادي، فيهمسون لبعضهم البعض :لقد أضعت الوضوء للتو .هههه"،" كنا "كمقهى" سي عبد السلام "التي لا تنبعث منها سوى رائحة القهوة والكيف .يقض فيه لاعبو الورق مضجع السكارى بثرثرتهم"..

وترد في الرواية بعض **فضاءات العتبة** التي تتردّد عندها الشخصيات، كالباب والشرفة والقبة، وهي تصنف كفضاء واصل، ويُقصد بها" ما يربط عالمين أو مجتمعين وثقافتين، أو ما يربط الداخل المختلف بالخارج المنفتح،" ويتم اللجوء إلى ما أسميناه الفضاء الواصل بالخارج بحثا عن فسحة للتنفس خارج لحظات الضيق ."ويمثل الباب أحد فضاءات العتبة في رواية" **مذكرات أعمى** " كفضاء واصل،" فكلما ضاق الفضاء بصاحبه، انفتحت أمامه الشرف والأبواب من حيث لا يحتسب :"ويحضر الباب في المقطع الآتي : "وحده صرير البوابة الكبيرة، كان علامته الأكيدة على قدوم زبون جديد ."والمقطع" :انفرج الباب ضاحكا، وسمعت شخير سريري الذي يغط في نومه العميق".، كذلك في المقطع": انفرج الباب دون استئذان في أسى عن امرأة هيفاء، أنيقة، تحمل حقيبة كبيرة".

ويكمن كذلك تصنيف الفضاء بحسب أبعاده، بين **البعد النفسي، الاجتماعي، السياسي، الديني، والتاريخي**، ويحضر **البعد الديني** في فضاء المسجد في **مذكرات أعمى** (13مرة) ، ويمثل المسجد" بنية ذات أثر ايجابي في توجيه السلوك وتهذيبه ."ومن المقاطع التي تؤكد هذا في رواية" **مذكرات أعمى**" : "في المسجد كان الخطيب ينحي باللوم على الناس بسبب ذنوبهم ومعاصيهم .أخبرنا أن طوفان خنيفرة أشبه بطوفان سيدنا نوح، وأن هناك أقواما عاشت ثم بادت بسبب بخلها، وهجرها للمساجد، واقترافها للمنكر، ولقلة استغفارها".

ويحضر فضاء **الشارع** كفضاء اجتماعي، في رواية" **مذكرات أعمى** "بقوة وهو" الحيز المكاني الذي تلتقي فيه حشود بشرية، فنجد فيه حركة أكثر من أي مكان آخر، فهو الامتداد المستقيم الواسع الذي يصل أطراف المدينة بعضها ببعض ."ومن المقاطع التي تبرز حضور فضاء" الشارع "في رواية" **مذكرات أعمى** "كإطار لتحركات البطل وبعض من شخصيات الرواية، كما في المقطع" :ليلتها شعرت برغبة محمومة .نزعت ملابسي وخرجت متبرجة إلى الشارع، أعرض مفاتني ...على أول جلاد"...، وكذلك في المقطع" :إنها تبدو لي

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

أجمل من كل النساء اللواتي أراهُن متهاديات بغنج في الجلابيب، أو الحايك، أو ملفوفات في أزرهن في هذا الشارع البائس"، وكذلك في المقطع" :وصلت الرباط في جو مطير .كنت مشتاقا للتسكع في شوارعها".

وهكذا يتضح أن رواية" مذكرات أعمى "تحفل بفضاءات عديدة، وكل فضاء له دلالته، بحسب توظيفه في المتن الروائي وبحسب البعد الذي يكتسيه في كل موقف على حدة .

التفضية والتزمين :

يستحيل تناول" الفضاء المكاني، في الرواية دون التطرق للزمان،" لأن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفا."، إذن يمثل العنصران إحداثيات أساسية في العمل الروائي، ولمقاربة العلاقة بينهما في الروايات المدروسة سنقتصر على مفهومي التفضية والتزمين، كما اصطلح عليهما" **غريماس** ."ويعد" التفضية والتزمين إجراءين مهمّين ضمن التركيب الخطابي، يخضعان لعملية القول، عن طريق استثمار الإشارات الزمانية والمكانية، إضافة إلى الزوج) أنا - أنت(، وتتجلى وظيفة هذه المعينات في تحديدها" :هنا و الآن"، يحددان التحقق المكاني والزماني المعايش والمعاصر للتحقق الخطابي المتضمن :أنا ."..فالفضاء في الدراسات السيميائية لم يعالج كحيز جغرافي؛ بل على أساس أنه علامات سيميائية توحي بخطابات وهواجس الإنسان، وذلك من خلال تتبع هذه العلامات في كل انزياح عن معانيه المباشرة، لتصوير الفضاء، ولذلك فقد اهتمت المقاربة السيميائية بدراسة الفواعل وأفعالها، وكذلك برامجها السردية، وقد أشار" **غريماس** "للتفضية و التزمين بثنائية" الهنا والهناك ."

ولمقاربة هذه الثنائية في الروايات المدروسة، لا بد من الوقوف على البرامج السردية لاستخلاص أنواع التفضية، وذلك من خلال تتبع أطوار الخطاطة السردية لفعل التحول من وضعية إلى أخرى مضادة في البرنامج السردي للذات.

ولتحديد العلاقة بين المعينات (الأنا، الهنا والآن) في رواية" **مذكرات أعمى** "نقف على مثال في المقطع" :وأنا بمجلس"باحدة "ذات أصيل، أستمتع بأذكاره"، يمثل المقطع السردي عملية القول للممثل) الأعمى /السارد(، أثناء جلوسه بمجلس" باحدة "، ومنه نجد أن المتكلم) السارد (في علاقة تواصل بالمسرود له) القارئ (، كما أن مؤشر الضمير الشخصي) أنا (من خلال المعين اللفظي) :أستمتع، (وتحدد علاقة القائل بعملية القول في إطار مكاني وخط زماني) مجلس" باحدة"، (ذات أصيل).

ومن مؤشرات التفضية في عملية القول المعين اللفظي: (مقهى مولاي موح، الحفرة، خنيفرة)، إلا أن عملية القول كانت في مدينة خنيفرة في الزمن الحاضر (الآن) من المعين الزمني : (أنفث في قلوب اليائسين قصصا يلتهمونها " كالسندويتش ."فبعد موتي لن يبقى لهم سوى خيبة زمن يسود فيه الصمت).

ومن خلال عملية القول نجد خطابا بين عامل التواصل) السارد (، من خلال مؤشر الضمير الشخصي) أنا(، من الوحدات " : شممت رائحة" الحنوط "والكافور، خمّنت"، وعامل التواصل) المسرود له (من خلال الضمير اللاشخصي) أنت، أو أنتم (من خلال المقولة "هل فهتم شيئا من ترهات هذه العصا المجنونة؟"، وقد تم الخطاب في فضاء" الهنا "وهو" مدينة خنيفرة"، وفي خط زمني حاضر) الآن (من المعين الزمني" : نلتف حول خشبة كبيرة"،" أشعر في داخلي بمهرجان رقص متواصل .تجتاحني فرحة عارمة ..أحس

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

بدبيب المطر"، واللا اندماج الزمني مؤشر للزمن الماضي، من المعين التالي ":وتعود بي الذاكرة إلى زمن ولىّ، فأستحضر أيام عيد العرش."

التجدير التاريخي :

نعني بالتجدير التاريخي" التحقيق أثناء عملية تصوير الخطاب لمجموعة من الإشاريات المكانية . الزمانية وخاصة التبونيمات (أسماء الأماكن و المزمنات)، التي تهدف إلى تكوين نظير لمرجع خارجي ، وإلى إنتاج أثر معنى" الواقع ."ويهدف التجدير التاريخي عن طريق المعينات المكانية -الزمانية إلى تكوين نظير للعالم الخارجي، حيث يقوم ببناء الإشاريات المعتمدة من طرف السارد، أثناء عملية القول لتشكيل سمات سياق سوسيو-ثقافي، لا يتطابق مع الواقع بتفاصيله، لكنه يولّد مجموعة من الإحالات الزمانية والمكانية التي تجعله يتسم) بالواقعية(، وبذلك يتمكن من تجدير الخطاب في مقام سوسيو-ثقافي.

ويعتمد تجدير الخطاب الروائي على نوعين من المعينات : أولها أسماء الأماكن" (TOPONYMES) وهي التأشير على الفضاءات المكانية بأسماء الأعلام، لذلك فهي تشكل إجراءً يعتمد عليه القائل لتحقيق تصوير الخطاب وذلك بمنح البنيات السيميائية - السردية -المتمفصلة إلى علاقات وأفعال يقوم بها عوامل يتحولون من حالة إلى حالة في علاقتهم بموضوع - رغبة -الإطار المكاني الذي يحيل على دلالات مكانية قادرة على تجدير الخطاب في سياق سوسيو ثقافي ".

التجدير التاريخي لرواية" مذكرات أعمى:"

يمكننا عن طريق المعينات المكانية، الزمانية أن نكوّن نظيرا للعالم الخارجي، من خلال تتبع الإشاريات المعتمدة من طرف السارد أثناء عملية القول، لتشكيل سمات سياق سوسيو -ثقافي، تضفي على الخطاب طابع الواقعية .

نبدأ بأسماء الأماكن(TOPONYMES) ، وهي أسماء أعلام الأماكن الواردة في الخطاب، والتي توظف لبناء ملامح المقام في مستوياته الاجتماعية والتاريخية والثقافية.

ومن الوحدات الواردة في الرواية، المؤشرة على المكان : البلدة الحمراء، خنيفرة ، الحفرة، سينما أطلس، زقاق وهران، نهر أم الربيع، الأطلس، بئر أنزران ، زقاق وجدة، باب حمرية، أزلو، تعلالين، أساكا، بويفولوسن، أمالو اغريبن، محطة القامرة، ساحة جامع الفنا، ساحة 20 غشت ... تمكن هذه الوحدات من تكوين مسار تسلسل الوحدات المعجمية المتقاربة في إحالتها المكانية، مما يؤدي إلى دلالة موحدة للإطار المكاني الذي يرتبط به خطاب الرواية؛ حيث تمثل وحدات تنقل بينها العامل الذات، وإدماج هذه الأماكن في بنية المحادثة بين العاملين يؤسس لفضاء مدمج (ENGLOBE) داخل إطار دامج هو المغرب.(ENGLOBANT)

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

الفضاء المكاني

فضاء دامج / فضاء مدمج

المغرب / خنيفرة

والعلاقة بين الفضاءات، بالإضافة إلى تحديد الفضاء المكاني، فهي تؤدي إلى ترسيخ شحنة دلالية سوسيو ثقافية" لخنيفرة "كونها تمثل الفضاء" الأصل "،" وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة والأنس، لكن الإساءة تحدث في هذا المكان، فيترتب عنها سفر الفاعل، بحثا عن وسائل الإصلاح والإنجاز"، هذا الفضاء يعد إطارا جغرافيا يرتبط به خطاب الرواية، ولما تمثله" خنيفرة "من اعتزاز في نفوس ساكنتها، ومن خلالها السارد الذي ما فتئ يُعبّر عن هذا الحب والارتباط بهذا الفضاء .ومن بين المقولات الدالة على ذلك" :قد أكون مبالغا بعض الشيء إذا قلت إنني أحمل البلدة الحمراء بين جوانحي .قلبي يهفو إليها كلما شدني الحنين إلى شيء واحد، مقهاي المفضلة بالمدينة القديمة) "(ص.100)،" آه، لقد تذكرت أنه كان يحب التنقل في خنيفرة بواسطة عربة الكوتشي المجرورة بالخيول " (ص. 199)،" أضناني المسير تحت شمس سوق الخميس الحارقة بمريرت) "(ص.183)،" وصلت الرباط في جو مطير)"(ص.183)، "زيارة خنيفرة قلبت مواجعي القديمة) " (ص. 195) وكلها ملفوظات تحيل على العلاقة التي تربط العامل الذات في رواية" مذكرات أعمى "بخنيفرة؛ كونها فضاءً له أبعاد سوسيو ثقافية تتجلى في عراقة هذه المدينة، وبعدها الثقافي والحضاري، وبيئتها الاجتماعية، وبذلك يكون المجتمع الأطلسي في خنيفرة) المغرب (هو الذي يمثل الخلفية السوسيو ثقافية لخطاب الرواية، وبذلك يحقق تجدير خطاب الرواية في إطار مكاني و ثقافي معين.

زمن الحكاية:

تمثل المزمنات (CHRONONYMES) العنصر الثاني من الإشاريات التي تحقق التجدير الزماني للخطاب الروائي من خلال خاصية التزمين (TEMPORALISATION) في الرواية، والتي تترك" أثر معنى "الزمنية المنجزة فيه أفعال العوامل.

ولتتبع الدلالات الزمنية للمزمنات نتأمل المقولة الصريحة الواردة في بداية و نهاية رواية" **مذكرات_أعمى**" :"خنيفرة في 24/11/2012" و"خنيفرة في 5 شتنبر "2014 (ص. 199) وهي تدل بصريح العبارة أن خطاب الرواية كان في هذا التاريخ . كما تشير بعض الوحدات المعجمية ك" :أذكر أننا تواصلنا افتراضيا ..لكنك طردتني ذات فجر، فخرجت ألعن" الفيس بوك) "(ص.27)، هذه الوحدات تشير إلى وقوع خطاب الرواية في عهد التواصل عبر المواقع الافتراضية كالفايسبوك، وهو عهد حديث جدا .

وبذلك يكون **زمن الحكاية** هو العقد الثاني من الألفية الثالثة، وبالضبط ما بين2012 م، و2014 م.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

الرواية وأثر الحقيقة :

إن اقتفاء أثر الدلالة قادنا إلى استخراج خصائص خطاب الروايات، وفي إطار الاهتمام بعملية القول يواجهنا سؤال" :كيف يعمل القائل لكي يظهر خطابه متسما بالحقيقة؟."

في سياق البحث عن الجواب تبين بعد تحليل خطاب الرواية أنه يستند إلى مجموعة من الإجرائيات الاقناعية وتتمثل في عنصر التجدير الذي يسعى عامل التواصل إلى تحقيقه من خلال عناصر : كأسماء أعلام الأماكن) - :خنيفرة، الرباط، باب حمرية، أزلو، تعلالين، أساكا، بويفولوسن، مريرت، زنقة وهران (...كلها وردت في متن الرواية).

ويعد التجدير الخطابي خاصية أساسية في الرواية لأن عامل التواصل ينخرط في فعل إقناعي، يجعل من الرواية فضاءً لابتداع الآليات الخطابية، التي تروم إقناع عامل التواصل الثاني بسمة الحقيقة، وهي عناصر تنتظم على مستوى عملية القول المقولة في علاقتها بمعينات التزمين والتفضية وتأسيس الممثلين وتوليد مجموعة من آثار المعنى، مثل تطابق عاملي القول وعملية القول والزمن الموضوعي، وانغراس الخطاب الروائي في سياق سوسيو ثقافي، وانخراط ممثلين مرجعيين (حقل الفن والسياسة).

كل هذه العوامل أسهمت في توليد آثار معنى الحقيقة من خلال مرجعها، وأفضت إلى بناء نظير للحقيقة على خطاب الرواية في كليتها.

خاتمة

يعد الفضاء مكوّنا بالغ الأهمية في الكتابة الروائية، فهو عنصر ضروري، فلا يمكن تصور محاولة روائية دون" فضاء مكاني"، ذلك الفضاء الذي لا ينحصر في" الحيز "الذي تدور فيه الأحداث، وإنما يجسِّد الأبعاد السوسيو ثقافية، بما يحمله هذا الفضاء من ذاكرة وقيم وأبعاد سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، إنه الخلفية الإيديولوجية للعمل الروائي في كليته، وقد ذهب العديد من النقاد إلى أن الفضاء قد يشكل السبب الرئيس للكتابة الروائية، في حد ذاتها، ولمَ لا ؟ ففي رواية" مذكرات أعمى "تتبدى لنا العلاقة التي تجمع" العامل الذات "بفضاء يشكل له التاريخ والوجود والعشق الأبدي" الحفرة تستحق كل هذا العناء . لقد ابتلعتني العاصمة، ونسيت أن ألبي نداء القلب كلما دعاني ...خنيفرة ما نخطاك حتى نموت حداك) "(ص.71) ، هكذا تتجسد العلاقة بين السارد وخنيفرة كفضاء يحمل قيما سوسيو ثقافية تمثل" للسارد"، ولكثير من أبناء هذا الفضاء هويتهم وسرّ وجودهم . كما قد تمثل للكاتب الدافع الأساس للكتابة، وهذا يظهر جليا منذ اللحظة الأولى لقراءة الرواية؛ حيث يخصص الكاتب إهداءه لمدينة خنيفرة حين كتب" :إلى البلدة الحمراء، إلى حاضرة زيان، إلى المدينة المقاومة، والمناضلة إلى زهرة الأطلس المتوسط، خنيفرة ."

وتبقى مهمتنا نحن، القراء بعين ناقدة، هي البحثُ عن دلالات هذا التوظيف للفضاء لنقل رؤيا الكاتب إلى القارئ، وفق مفاهيم إجرائية دقيقة، ثم ربطها بالمجتمع الذي نحن عنصر منه، لنكشف في الأخير الخيط الناظم بين الأدب والواقع بعيدا عن كل الجدال الذي طرحته هذه الثنائية، ولكن أملا في ترصد رؤيا الكاتب وتوجيه القارئ نحو الدافع إلى الكتابة.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

المصادر والمراجع:

المتن الروائي:

- ركاطة حميد، مذكرات أعمى،الطبعة الثانية، مطبعة نجمة الشرق، منشورات ديهيا، بركان، المغرب

المراجع:

- إبراهيم محمد، تجليات المكان في السرد الحكائي، فضاءات للنشر والتوزيع،2009 ، عمان، الأردن.
- باشلار غاستون، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي)الفضاء،الزمن،الشخصية(، المركز الثقافي العربي، الطبعة 1 :،1990، بيروت، الدار البيضاء، المغرب.
- البلهيد أحمد بن سعود، جمالية المكان في الرواية السعودية من 1390 حتى 1423 هـ، أطروحة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية،1427 هـ، الرياض، السعودية.
- بنكراد سعيد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة3:، اللاذقية، سوريا،.2012
- جنداري إبراهيم، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، مجلة الابتسامة، دار تموز للطباعة والنشر،2013 ، دمشق، سوريا.
- الحجري إبراهيم، متاهات المكان، دار الثقافة، الطبعة الأولى، حكومة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،.2019
- الحربي علي جمعة، المكان ولادته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد،.2003
- دراج فيصل، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي،2001، بيروت، لبنان.
- رينيه ويلك وأوستن وآرن، نظرية الأدب، تعريب الدكتور عادل سلامة، دار المريخ للنشر،1992 ، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العبيدي مجيد حسن، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، مراجعة الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، بغداد، العراق.
- كيليطو عبد الفتاح، الملحق الثقافي لجريدة الإتحاد الاشتراكي، م.م، لعدد66 ، الأحد 24 فبراير.1985
- لحميداني حميد، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة،2000 ، الدار البيضاء، المغرب.
- نجمي حسن، شعرية الفضاء، المتخيل والهوية في الرواية العربية، الطبعة الأولى،2000 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب .
- نصراوي الشرقي، اللغة آلية تواصلية في اللسانيات والسيميائيات، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد14:،2019 ، الدار البيضاء، المغرب.
- النصير ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، وزارة الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، 1986 بغداد، العراق.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -

• النوسي عبد المجيد، التحليل السيميائي للخطاب الروائي) البنيات الخطابية، التركيب والدلالة(، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب.

المراجع الأجنبية:

- BENVENISTE (Emile),la nature des pronons "probleme de linguistique generale vol.1,paris, gallimard, 1966, op.cit.
- GREIMAS,(AJ) du sens 2,ed, seuil, paris, 1983,op.cit.
- GREIMAS, (AJ), COURTES,(J) semiotique, dictionnaire raisonne de la theorie du language,op,cit,paris, hachette,1979.
- Henri LEFEBVRE, la production de l'espace, op, cit.
- Roland BOURNEUF et Real OUELLET, 1981. L'univers du roman, puf, paris, france,.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved -